اصل اليزيدية وتاريخهم

Les Yézidis dans l' histoire.

١١ ـ الديك ـ ديك العرش

لليزيدية تماثيل يطوفون بها في ايام اعيادهم . والتماثيل المعروفة ليست في الحقيقة إلّا تماثيل (حمام) ، او (ديك) كما تقدم ولها اصل اساطيري يحكي عن عدي بن مسافر . وذلك ان الحادي او القوال (وردا في البهجة والقلائد بهذين اللفظين) كان ينشد القصائد الدينية على طريقة الصوفية ، وقد اخذ القوم الحال ، ونسوا انفسهم، على ما يشاهد لديهم في اكثر الاحيان الى اليوم، اذ نادى المنادي بالاذان ، فلما سمع الشيخ عدي ذلك ، تألم وعاتب المؤذن قائلا له : « انزلتنا من العرش الى الفرش » .

وأوضح معنى ذلك، أن ديك العرش كان يصيح بالاذان، فلما أذن المؤذن، غاب عنه صوته . فلم يسمعه بعد .

ويقال ان بعض مريديه طلب الى الشيخ ان يسمع ديك العرش ، فلما بلغ الى اذنه كاد يموت ، وبقي بضعة ايام لايشعر لما اصابه من الاندهاش .

وحينئذ حصل لهم من صوره لهم ؛ وانه رآه فتمكن من اقناعهم وغشهم وصاروا يسمون ذلك المثال (السنجاق) اي العلم او اللواء . وقد وصفه كثيرون تمام الوصف ، ولكن لم يقفوا على اصل المعتقد وتاريخ نشوئه . (راجع كتاب التساطرة وشعائرهم تأليف ج . ب . بادجر)

وما هذا المعتقد إلّا قصة خرافية لبس شكلا ماديا . وهذه القصة لا تزال آثارها عندنا الى اليوم . وذاك أن الاهلين في الاكثر يقتنون الديك الابيض . الافرق العرف . الازرق الرجلين ليوقظهم للصلاة . ويزعمون انه يصيح كلما صاح ديك العرش . وانه بركة في البيت ، كما ان الديك الذي « يقيق » (يصيح) كالدجاجة مشؤوم . ولذا يبادرون الى ذبحه ولا يبقونه لاعتقادهم ان الاول يطرد الروح الخبيث ، وهذا يأتي بما يكره .

ولا يعلق بهذه الخرافات اكثر من انها قصص محفوظة لحقها التغير والتبدل فنالت اوضاعاً مختلفة .

المحامي عباس العزاوي

الطاووس

(لغة العرب) لم يتفق الرواة في وصف هذا الطائر الذي له تمثال من معدن ، فمنهم من قال انه يشبه « الطاووس » ولهذا يسميه بعضهم « طاووس ملك » ومنهم من يقول انه بصورة ديك غير واضح الشكل . وعلى كل حال ان في احاديث الصوفية ما يحمل على الظن ان اليزيدية تلقوا معتقدهم عن سلفهم فالذين يظنون ان صورة ذلك « السنجق » تمثل الطاووس ، يجدون ما يدعم رأيهم في كتاب قصص الانبياء للكسائي فقد جاء ما هذا نصه (١) :

« (حديث الطاووس ومحاورة ابليس له) قال : فلما سمع ابليس بذلك [باسكان الله آدم وحواء الجنة] فرح وقال : لاخرجنهما من ذلك الملكوت بعد ان امرا ونهيا ، ثم مر مستخفياً في طرق السماوات حتى وقف على باب الجنة فاذا بالطاووس قد خرج من الجنة وله جناحان اذا نشرهما غطى بهما سدرة المنتهى ، وله ذنب من الزمرذ الاخضر ؛ وعلى كل ريشة منه جوهرة بيضاء لها ضوء كضوء الشمس ، ومنقاره من جوهرة بيضاء ، وعيناه من ياقوتة ، وهو اطيب طيور الجنة صوتاً وتغريداً ، واحسنها الحاناً بالتسبيح . وكان يخرج في كل وقت ويمر في صفح السماوات السبع ويتبختر في مشيته ، ويرجع في تسبيحه الى الجنة ، فلما رآه ابليس دنا منه وكلمه بكلام لين » :

« ايها الطير العجيب الخلق ، الحسن الالوان ، الطيب الصوت ، أي طائر انت من طيور الجنة ؟

ـ فقال له طاووس الجنة : فما لك ايها الشخص كأنك مرعوب ، او كأنك تخاف طالباً يطلبك ؟

---

١) النص الذي نورده هنا منقول عن نسختنا الخطية المحفوظة في خزانتنا ، وهي تختلف عن النسخة المطبوعة التي مسخها صاحبها كل المسخ ، ومن قابل بين نصنا والنص المطبوع يرى الفرق البين بينهما .

ـ فقال له ابليس : انا ملك من ملائكة الصفح الاعلى من زمرة الكروبيين الذين لايفترون عن التسبيح ساعة واحدة . انظر الى الجنة والى ما اعد الله فيها لاهلها . فهل لك ان تدخلني الجنة ، ولك علي ان اعلمك ثلاث كلمات ، من قالهن ، لم يهرم ، ولم يسقم ، ولم يمت .

ـ فقال الطاووس : ويحك ! ايها الشخص! أواهل الجنة يموتون ؟

ـ قال نعم . يموتون ويهرمون ويسقمون ، إلا من كانت عنده هذه الكلمات وحلف له على ذلك . فوثق به الطاووس ، ولم يظن ان احداً يحلف بالله كاذباً .

ـ فقال الطاووس : ايها الشخص ، ما احوجني الى هذه الكلمات ، غير اني اخاف من رضوان ان يستخبرني ، ولكن ابعث اليك بالحية سيدة دواب الجنة ، فانها تدخلك الجنة » . (وهنا جاء ذكر حديث الحية وهو طويل)

وبعد ذلك ذكر حديث اخراج الطاووس والحية من الجنة فقال : « ثم أتي بالطاووس وقد معطته الملائكة حتى انتفض ريشه وجبريل يجره ويقول له: اخرج من الجنة خروج لابد ، فانك مشؤوم ابداً ما بقيت. وسلب تاجه ، ونتفت اجنحته ، ثم حيي بالحية ، وقد جذبتها الملائكة جذباً شديداً ، فاذا ممسوخة مبطوحة على بطنها ، لا قوائم لها ، وصارت ممدودة ، مشوهة الخلقة ، ومنعت النطق ، وصارت خرساء ، مشقوقة اللسان . فقالت لها الملائكة : لا رحمك الله ولا رحم من يرحمك ومروا بها على آدم ... » اه .

قلنا : والذي علمناه من اليزيدية انهم يجلون الحية لانهم يزعمون : ان سفينة نوح صدمت انف جبل وهي طافية على الماء ، فثقب صدرها ، فجاءت الحية وتحوت في الثقب ومنعت دخول الماء في السفينة . وهكذا نفعت اهل الفلك فنجوا من طامة الغرق . ولهذا تراهم يحترمون الحية الى عهدنا هذا . وهذا يوافق احترامهم « لطاووس ملك » و « للحية » معاً .

حديث الديك :

اما الذين يزعمون ان اليزيدية يجلون الديك لا الطاووس ، فهذا الزعم ايضاً مبني على رواية للاقدمين من المتصوفة . قال الكسائي المذكور في كتابه قصص

الانبياء في ص ٢٦ من نسختنا :

« وكان آدم ربما اشتغل بامر معيشته ، فغفل عن الصلاة والتسبيح حتى لا يعرف الاوقات ، فاعطاه الله ديكا ودجاجة ، وكان الديك ابيض ، افرق ، اصفر الرجلين كالثور الكبير ، يضرب بجناحيه عند اوقات الصلاة ويقول : سبحان من يسبحه كل شيء ، سبحان الله العلي العظيم ، وبحمده يا آدم الصلاة ، يرحمك الله . فكان آدم يقوم عند صوته الى الوضوء ويصلي صلاته . وكان ذلك الديك على باب منزله ، فاذا خرج آدم الى حرثه وزرعه ، يسبح الله ويقدسه وصوت الديك على ابليس اشد من الصواعق .

« قال ابن عباس : احب الطيور الى ابليس اللعين ، الطاووس ؛ وابغضها اليه الديك . فاكثروا في بيوتكم الديك ، لان الشيطان لا يدخل الى بيت فيه ديك . وقال كعب الاحبار : اذا صياح الديك وقت الاسحار ، نادى مناد في السماء من المخاطب في درجة الرضى : اين الخاشعون ؟ اين الراكعون الساجدون؟ اين الحامدون الشاكرون ؟ اين الموحدون المستغفرون بالاسحار ؟ — فاول من يسمع ذلك ملك من السماء على صورة الديك له زغب وريش ، ورأسه أبيض تحت باب الرحمة ، ورجلاه في تخوم الارض السابعة السفلى ؛ وجناحه منشور .

« فاذا سمع النداء من الجنة ، يضرب بجناحيه ضربة ويقول: سبحان من خلق الرحمة التي وسعت كل شيء . من الذي يشتاق الى الجنة ، جنتك يا الهي ، دار النعيم ؟ ...

« قال قتادة : اكثر طيور الجنة الديك ، وان الله تعالى خلق ديكا اذا سبح تسبح الديوك كلها التي في الارض ، فيهرب منها الشيطان ويبطل كيده ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشتم الديك ... » اه

قلنا : يرى من هذا ما يحمل على الظن : ان اليزيدية — واصلهم من المتصوفة بلا ادنى ريب على ما اوضحه حضرة الاستاذ العزاوي — كانوا يجلون الديك في اول امرهم ، تبعاً لعدي بن مسافر ، ثم لما رأوا ما بين الشيطان والطاووس من الارتباط ، عدلوا عن اكرام الديك واجلاله الى اكرام الطاووس . ونظن ان هذا التأويل وحده يجمع بين آرائهم الاولى ، آراء سلفهم

الى آرائهم في هذا المهد الذي يجلون فيه الطاووس لا الديك ، على ما اكده لنا كثيرون من اليزيدية (١) .

هذا رأينا نعرضه على القراء بكل تحفظ . وعلمه فوق كل ذي علم .

على اننا لانجهل ان بعض المستشرقين ذهبوا الى ان معنى «طاووس ملك »: « الملك الاله » مدعين ان « طاووس » كلمة يونانية معناها : الاله . على اننا لانوافقهم على هذا الرأي : لان هـذا مخالف لمعتقدهم، فضلا عن ان ليس منهم من قال هذا القول الغريب . نعم ان المستشرقين كثيراً ما ينخدعون بظواهر الالفاظ فيذهبون مذاهب شتى لمجرد مجانسة بين كلم وكلم : مع ان ذلك لايكفي إلم يكن هناك من الادلة ما يدعم ذلك الرأي . وكيف نقبل هذا الخاطر وثم من البراهين ما يحملنا على القول ان الطاووس الممثل عندهم بتماثيل مختلفة : والذي يذكرونه في مجالسهم ومجتمعاتهم هو هـذا الطائر المعهود، فضلا عن ان رواية المتصوفة تؤيد زعمهم هذا . اذن ليسمح لنا اولو البحث ان نقول ان « الطاووس » هنا لايعني ابداً « الله » بل الطائر المختال ، لا غير . فلينتبه اليه .

---

١) من اصدقائنا اليزيدية الذين عرفناهم منذ سنة ١٩١٨ وهو حي الى يومنا هذا الامير الشيخ اسماعيل بك رئيس اليزيدية . وقد كاتبنا مراراً من سنجار بعد ان عرفناه في بغداد وكان في كل رسالة له الينا يضع جزازة ورق مطبوعاً عليها صورة طاووس ومكتوباً تحت الصورة : « ملك طاووس » وتحت هاتين الكلمتين يرى بحرف افرنجي « امير شيخ اسماعيل بك رئيس ملة اليزيدية » ومثل ذلك بالحروف العربية .

وهـذا يثبت ان الذي يصورونه اليوم ويمثلونه عندهم هو الطاووس لا الديـك ، بخلاف ما ارتأى حضرة الاستاذ العزاوي، وان كان يجوز ان يقال : انهم في الاول كانوا يكرمون الديك ويتخذون صورته ويضعونها على رمح او عود ، اما اليوم فانهم عدلوا عن تلك الصورة الى تمثال الطاووس، على ما اوضحناه في صدر هذه الصفحة ، فليختر القارىء ما يوافق فكره ، ولا نكرهه على رأي من الارآء .